

قراءة في دلالات الانتحار المتزايد



يقلم:
إبراهيم
خالد

في مدن تعجّ بالحياة، حيث الضجيج لا يتوقف، ثمة صمّت أكثر ذخاعة من كل الأصوات. صمّت يتسلل إلى الأرواح قبل أن يظهر في العناوين، ويعان عن نفسه بأقصى الطرق الممكنة. ما بين حكاية انتحار سيدة الإسكندرية بسنت سليمان، وواقعة انتحار شاب كوبري المظلات بالقاهرة، وقبلها انتحار الرجل المسن على أبواب مستشفى حكومي، بل وحتى الأسرة التي اختارت الرحيل الجماعي في الإسكندرية، تتشكل أمامنا لوحة لا يمكن اختزالها في مجرد حوادث فردية عابرة.

هذه الوقائع، رغم اختلاف تفاصيلها، تتلقى عند نقطة واحدة: شعور قهقري بالعجز عن الاستمرار، ليس العجز البيولوجي، ولا حتى الاقتصادي فقط، بل ذلك العجز المركب الذي يجعل الإنسان يرى الطريق مسدوداً من كل الاتجاهات، حين يصعب البقاء نفسه عبثاً، لا خياراً.

لكن الأخطر من ذلك، أن هذه الأفعال لم تعد مجرد قرارات فردية، بل تحولت إلى لغة، لغة، لغة، لغة قاسية وصادمة، وسيلة تعبير أخيرة لمن لم يجدوا وسيلة أخرى. وكأن أصحابها يقولون: "لم يسمنا أحد ونحن أحياء، فربما يُنمّت إلينا العالم بعد الرحيل".

في ظل ما يُسمّى بـ "الجمهورية الجديدة"، يُتّرى أن تكون هناك مساحات أوسع للأمل، وأن يشعر المواطن بأنه جزء من معادلة لها معنى. لكن حين تتكرر هذه الحوادث، يصبح السؤال مشروعاً: أين تنسرب هذه المساحات؟ لماذا يبدو أن بعض الناس لا يجدون لأنفسهم موطئ قدم داخل هذا الإطار؟

المشكلة ليست في حدث بعينه، بل في التراكم، في تلك اللحظات الصغيرة التي تهمل، في الشكاوى التي لا تجد طريقها، في الإحساس المتنامي بأن الصوت لا يصل، الإنسان لا يتحرق فجأة، بل يتآكل ببطء. وكل يوم يمر دون أن يجد من يسمعه، يقترب خطوة إضافية من الحافة.

المجتمعات لا تُقاس فقط بمعدلات النمو أو الأرقام الرسمية، بل بقدرتها على احتواء أضعف أفرادها، بقدرتها على التقاط الإشارات المبكرة قبل أن تتحول إلى مأس، حين يصبح الموت وسيلة احتجاج، فهذه ليست مجرد أزمة أفراد، بل أزمة نظام تواصل كامل بين المجتمع وأفراده.

ربما لا نملك إجابات سهلة، لكننا نملك بداية: أن نعترف، أن ندرک أن وراء كل رقم قسمة، ووراء كل حادثة إنساناً كان يبحث عن مخرج. أن نفهم أن الصمت ليس دائماً رضاً، بل قد يكون أقسى أشكال الرفض.

هذه ليست دعوة لليأس، بل محاولة للفهم. لأن أول طريق الحل، هو أن نصغي، أن نمنح الناس مساحة ليبروا، قبل أن يتحول التعبير إلى فعل نهائي لا رجعة فيه.

ختاماً، حتى نتعلم كيف نسمع، لا كيف نكتفي بالإحصاءات الشكلية، كيف نلتقط ما وراء الكلمات، لا ما يُقال فقط. كيف نعيد بناء جسور الثقة التي انهارت بصمت، دون ضجيج. أن نتعلم كيف نصدق الألم قبل أن نطالبه بإثباته، وكيف نمنح الأمل قبل أن نطلب الصبر. لأن المجتمعات لا تتهاجر حين يعول الصراع، بل حين يتقن الجميع الصمت.. وحينها فقط، تصبح كل صرخة أخيرة.

حكاية
انتحار سيدة
الإسكندرية
بسنت سليمان

الشهد

تصدر عن شركة "الشهد"، للصحافة والطباعة والنشر، ش.م.م.

مدير التحرير
محمد موسى

الإخراج الصحفي:
هالة سعيد - شيما جمال

الإدارة والإعلانات والاشتراكات
٤٥ ش عبد الرحيم صبرى، الدقي
ت: ٣٧٧٢٠٢٤ - ١٠١٩٤٤٠٢٤
فاكس: ٣٧٧٢٠٢٤
البريد الإلكتروني
almash.had@yahoo.com
التوزيع والاشتراكات، مؤسسة الأهرام

العدد 350 - السنة الرابعة عشرة - الأربعاء - 15 أبريل 2026 م - 27 شوال 1447 هـ



إهداء من الفنان محمد عبد اللطيف

أمة التازحين



يقلم:
د. م. محمد
مصطفى الخياط

(لن أقدر التاريخ بعد اليوم/ إن أصابي اشتعلت/ وأواصي نطفها المدام/ ما نحن نخل عسرينا الجعري/ نرجع كل يوم.. ألف عام للواء...)

كتب نزار قباني هذه الأبيات عام ١٩٨١، بروى رفيقة حياته بلبس الراوي بعد اغتيالها في بيروت، مرت عقود على رحيله، ومع ذلك تبدو كلماته حية برائحة الدم، كأنها كتبت هذا الصباح: عسيمة على النسيان، لأن ما رثاه لم ينته، بل استمر وتكرر.

لم يكن التاريخ العربي انتقالاً من القبيلة إلى الدولة، بل كان لحظة انبثاق حضاري هائلة انطلقت من الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي، صهرت في بوتقة الإسلام إرث الأنبياء وممالك اليمن القديم وما جاورها.

ومع امتداد الفتوحات من تقويم الصين شرقاً إلى الأندلس غرباً، بلغت هذه الحضارة ذروتها في العهدين الأموي والعباسي، حين تحولت مدن مثل بغداد وقرطبة والقاهرة إلى مراكز إشعاع إنساني، حفظت التراث وأضافت إليه في اللعب والرياضيات والفلسفة.

غير أن هذا الزدهار لم يكن نقيماً من الدم، فمنذ الفتنة الكبرى، لم يتوقف الصراع على السلطة، والمعارفة أن مسانين متناقضين كانا يسيران جنباً إلى جنب: ازدهار علمي وثقافي من جهة، واقتتال داخلي وتزيف مستمر من جهة أخرى.

كانت المدن تبنى، وفي الوقت ذاته كانت المدمر، تراق أحياناً بالسيف ذاته.

ثم جاءت الضربات الخارجية لتكتمل ما بدأه الداخل: حملات صليبية انتهكت، وغزو مغولي دمر، بلغ ذروته في سقوط بغداد عام ١٢٥٨. تلت ذلك قرون من الحكم العثماني أعادت تشكيل البنية السياسية دون أن تعالج جذور الانقسام. ومع مطلع القرن العشرين، شطر الاستعمار الأوروبي الخرائط ورسم حدوداً، وأسس نظاماً تدين بالولاء، وفي قلب هذا المشهد، زرع إسرائيل قنبلاً وقتياً، لتتوالى من كيان ناشئ إلى قوة توتّع نفوذها على حساب محيطها جيلاً بعد جيل.

في البدايات، كان النزوح استجابة للطبيعة: هروباً من الجفاف بحثاً عن الماء، الكلال، ثم صار رد فعل للغضب المثار. بعد سقوط غرناطة عام ١٤٩٢، غادر مئات الآلاف من عرب الأندلس ديارهم إلى شمال أفريقيا، حاملين ما استطاعوا من بقايا حياة، وتكررت المشاهد في مجرات بلاد الشام نحو الأمريكتين، حيث وكّد ما عرف بابدب المهجر، شاهداً على ألم الاقتران الأول.

لكن التحول الأكبر جاء عام ١٩٤٨، حين وقعت النكبة الفلسطينية، فوجد مئات الآلاف أنفسهم خارج أرضهم، بين لجوء داخلي وتشريد عبر الحدود إلى دول الجوار. لم تكن تلك نهاية القصة، بل بداياتها الحديثة. فمنذ ذلك الحين، صار النزوح صهلاً متكرراً في السردية العربية.

ومع عام ٢٠١١، دخلت المنطقة طوراً جديداً من الاضطراب، بدأت الاحتجاجات، ثم انزلت إلى صراعات مفتوحة، فتوالى موجات النزوح من العراق واليمن وليبيا والسودان، وانتصمت رغبة الهشاشة. ثم بعد النزوح استثناء، بل تحول إلى حالة عامة، جعلت من العرب أمة من التازحين.

أمة تُحَلّ لا تعرف الاستقرار، يُكتب تاريخها على طرق الهجرة: فوق شاحنات، وفي قوارب الموت، وبين حدود لا تعرف بها، ويحفظ في حقائب السفر المتهاكلة. وفي كل انتقال يبسط جزء من الذاكرة ولا يستل عليه.

(أخيراً، يقول الدم العربي/ تساوتْ والماء/ أصبحَ لا طعمَ/ لا لوزَ، لا رائحة) بهذه الكلمات ليخص فاروق شوشة حالة بنجاح فيها الوصف حدود اللغة، ثم أيق حتى فقد دلالته، وهوية تاكث حتى كادت تتلاشى. لم تعد قراءة التاريخ العربي مجرد فعل معرفي، بل تجربة موجعة، صفحات مقلقة بالقتل والتشريد والحرق والنسي.

السؤال الذي يفرض نفسه بالبحار، ماذا نفعل؟ في عام ١٩٧١، كتب محمود درويش عن غرّة بوضفها رمزاً للسمود. وبعد عقود، لا تزال غرّة تحرق وتبار أشد، غرّة لا تواصل انفجارها اليومي، لتقول لها شكراً، وغرّة لا تواصل انقضاضها اليومي على الموت، لكي تكتب عنها قصيدة وغرّة لا تجد مسعاً من الوقت لكي تقرأ تحياتنا ولا يريد يصل إلى غرّة لأنها محاصرة بالأمل والأعداء،....)

كتب محمود درويش يوماً: هذه الأرض ما يستحق الحياة: لم يبقها في وقت هائل، بل في أشد لحظات القهر. وهذا بالضبط ما يجعلنا نتمسك، ليس النزوح هو الجرح الحقيقي، بل إن تنسى، وأنت في طريق الرحيل، ما الذي تركه وراءك، فالألم التي تحفظ ما خسرت لا يُهزَم، بل تهتز من كيويتها وتواصل المسيرة.

حفظ الله الوطن.

هذا
يكن نقيماً من
الدم

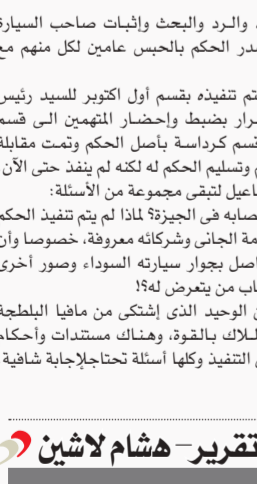
من يحمي عصابة معروفة تحاول الاستيلاء على الأراضي بالقوة في الجزيرة؟!



أسئلة كثيرة فرضت نفسها في السنوات الأخيرة حول مافيا الاستيلاء بالقوة على أراضي المواطنين بالطريق الصحراوي بالجزيرة وأكثوبر تحديداً وصدور أحكام قضائية لا يتم تنفيذها للمجنى عليهم رغم أن أماكن إقامة المستولين على الأرض معروفة.



ربما أبرز هذه الحكايات وليس آخرها ما حدث لأحد المواطنين ويدعى محمد إسماعيل ٦٠ عاماً من محاولة الاستيلاء على أرضه بالقوة وتعرضه لإعتداء جسيم وصدور أحكام لصالحه لم يتم تنفيذها حتى الآن، وهي أحداث تشبه فيلم سينمائي من النوع الكشن الذي شاهدناه في أفلام مصرية عديدة.



ويروي محمد إسماعيل لـ "الشهد" أنه امتلك قطعة أرض من الجمعية التعاونية الزراعية لاستصلاح واستزراع صحراء الأهرام منذ سنوات طويلة، وقد تعرضت لبطولة من مجموعة خارجين عن القانون ويدعى كلا منهم ع. ح. م. وشهرته (ي. أ. أ.) وشخص أخري يدعى ص. م. وشهرته (ي. أ. ع.) وهو ابن عمي. أ. وزوج أخته وشخص آخر يدعى اسمه (ر. أ.) وهو أحد أقارب ي. أ. وقريب الأرواح ي. أ. الذي قام بحرق مركز كراسة في أغسطس ٢٠١٢ وقامت الدولة بتصفيته في منقله حدائق الأهرام.

ويضيف إسماعيل هؤلاء الأشخاص قاموا بالتدعي على وتهديدي وترومي بالأسلحة النارية في محاولة لإرهابي وإغاضي على معادرة أرضي، مما دفعني للنزوح إلى قسم أول أكثوبر وتم تحرير محضر لهم في شهر مارس ٢٠٢٢ وتم إستدعائهم، خصوصاً أنه تم تحرير عدة محاضر سابقة لهم من أعضاء آخرين للجمعية بسبب محاولات فرض السيطرة والبطولة للإستيلاء على أراضيهم بالقوة لكنهم رفضوا بتنادي آتية وظلوا من كل الملاك المبلغ المذكور وانت لم تدفع، وحاووا الخطف موبايلى لمنع إشتائتي بالشرطة ولما فشلوا قاموا بالتدعي على أنا والحداد بظفر البنادق الآلية في صدري وأخدوا بي كسوا حسيمة في القفص الصدري ثم إبتأها في تقرير طبي، وقاموا بسرقة معدات الحداد، وكان هناك أحد المسارسة متواجداً بالصدفة شاهداً على الواقعة وصور السيارة السوداء وصاحبها.

وبعد إفاقتي وتوجهي إلى المستشفى أثبت الكشف الطبي وجود كسور متفرقة بالقفص الصدري، وفي النهاية تم تسجيلها بالجنحة رقم ٧٦١٢ بعد إبتأها التحريات مسحة الواقعة، وبناء على ذلك صدرت طلبات حضور للتهمة وعددهم ٦ متهمين عدة مرات من محكمة أول أكثوبر الجزيهه بجلسه ٢٠٢٢/١٢/٢ ثم أصدر المستشار رئيس المحكمة قراراً بعدم اختصاص المحكمة وأرسالها لحكمة الجنائيات.

تقرير - هشام لاشين

١٧ عاماً من الانتظار.. أم من البدرشين تبحث عن نجلها المختطف منذ ٢٠٠٩



من العمر ٩ أشهر فقط وقتها، وفي واقعة ما زالت تفاصيلها غامضة حتى اليوم. تعود بداية القصة عندما تركت الأم طفلها لدى إحدى السيدات بالمعارف أثناء توجهها للكشف الطبي، لكنها فوجئت عند عودتها باختفاء السيدة وترك الطفل مع أخرى، والتي قامت باختطافه والهرب به، ومنذ ذلك الوقت انقطعت جميع السبل أمام الأم للوصول إلى طفلها.

تعيش السيدة إيمان عمر، ابنة مركز البدرشين بمحافظة الجيزة، مأساة إنسانية ممتدة منذ عام ٢٠٠٩، بعد اختفاء نجلها "مصطفى" الذي كان يبلغ

احمد صلاح سلمان